التنغيم في أسلوب الشرط

م.د.انتصار سالم إبراهيم
وزارة التربية/ الكلية التربوية المفتوحة

الملخص:
يخضع أسلوب الشرط في كثير من قضاياه للعنصر التنغيمي، ومعلوم أنَّ هذا الأسلوب تتكون جملته من أركان ثلاثة: الأداة، وجملة الشرط، ثم جملة الجواب، وتلتزم اللغة في هذا الأسلوب ترتيباً صارماً؛ إذ لا يُقبل تقديم أو تأخير في أركانه، ونكاد نحس في هذا الأسلوب أن أداة الشرط موصولة بجملة الشرط دون سكتة بينهما، وكأن الأسلوب في تنغيمه قسمان:
الأداة والشرط معاً، ثم الجواب بعدها ذا وضوح نغمي يحدد المراد من الكلام ؛ لأنه تمام الفائدة في أسلوب الشرط.
الكلمات المفتاحية: التنغيم، الشرط، الأسلوب.

The conditional style intonation

Asst.Lec. Intisar Salim Ibrahim
Ministry of Education / community Educational College

abstract:
In many of its cases, the condition is subject to the toning element. The method that the condition tool is connected to the sentence of the condition without a stroke between them, methods in tonation falls in two parts: The tools in use and the condition, both together, the answer with the clarity of the tone determines what is meant to speak, since it is quite important in the style of condition.
Keywords: Intonation, Style and method.

المقدمة:

إنَّ الدارس لأول وهلة يُدرك أن كثيراً من الظواهر اللغوية بات أمرها مرتبطاً بالتنغيم ارتباطاً قوياً، فالقدماء وإنْ لم يربطوا ظاهرة التنغيم بتفسير قضاياها اللغوية وهم إن تاه عنهم تسجيل قواعد لها؛ فإنَّ ذلك لم يمنع من وجود خطرات ذكية لمساحة تعطي إحساساً عميقاً بأن رفض هذه الظاهرة تماماً أمر غير وارد وإن لم يكن لها حاكم في القواعد لشقة ما بين الدرس الصوتي في نظرهم وبين النحو، إذ كانت دراساتهم الصوتية قمة في استعمال المنهج الوصفي، والاعتماد على ما هو واقع بعيداً عن الفرض والتأويل، وكان درسهم النحوي يعتمد في كثير على المنهج المعياري الذي أسس في غالبه على الفرض والتأويل، ولعلَّ ذلك كان سبباً أبعدَ التنغيم عن خدمة النحو، ومن تلك الإشارات لكثير من القضايا النحوية على أساس من التنغيم.

***التنغيم**:

هو العنصر الموسيقي في الكلام ويبدو ذلك العنصر في ارتفاعات وانخفاضات أو تنويعات صوتية تسمى نغمات الكلام، ومن تعريفاته أنه: " النغمة جرس الكلمة، وحسن الصوت في القراءة وغيرها "[١]، وفي مفهوم الجرس قالوا: " ... والجرس الصوت الخفي "[٢]، وبين جرس الكلمة وحسن الصوت علاقة تزيين.

فظاهرة التنغيم الصوتي، أثر ناتج من تآلف الأصوات اللغوية، جنباً إلى جنب، هذا التآلف الذي يحدث نوعاً من الارتفاع والانخفاض النسبي في درجة الصوت، وهذا الملحظ عبّر عنه الدكتور إبراهيم أنيس (ت ١٩٧٧م) بموسيقى الكلام قائلاً: " برهنت التجارب الحديثة على أنَّ الإنسان حين ينطق بلغته، لا يتّبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد، قد تختلف في درجة الصوت، وكذلك الكلمات قد تختلف فيها، ومن اللغات ما يجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبرى، إذ تختلف فيها معاني الكلمات تبعاً لاختلاف درجة الصوت حين النطق بها،... ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية "[٣]، إذن، فالتقارب النغمي القائم على اختلاف درجات الصوت، قوةً وضعفاً، استشف الدارسون من خلاله ظاهرة أطلقوا عليها مصطلح . التنغيم . وعرّفوها تعريفات هي من

حيث المضمون واحدة؛ ولكن تختلف من حيث الصياغة، فهذا الدكتور تمام حسان (ت ٢٠١١م) يقول: " ... يمكن تعريف التنغيم بأنّه ارتفاع الصوت، وانخفاضه في أثناء الكلام... "[٤]، وعرّفه الدكتور محمود السعران قائلاً: " ... التنغيم هو المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع في درجة الجهر في الكلام "[٥].

أمّا الدكتور سمير شريف استيتية، فقد ردَّ قول القائلين، أنَّ النبر والتنغيم في السياق شيء واحد، قائلاً: "... إنَّ وجود النبر في موقعه من الكلمة، عندما تكون في جملة لا ينفي وجود التنغيم فيها، ولا يغني وجوده عن وجود التنغيم فيها، ووجود التنغيم لا يلغي وجود النبر... فالنبر هو مقدار الضغط الواقع على المقطع في الكلمة، والتنغيم هو الهيئة اللحنية التي تؤديها المعاني المختلفة "[٦]، فالاستنكار له هيأة لحنية معينة، والاستفهام التصديقي له هيئة أُخرى، والتعجب له هيئة ثالثة، والتأكيد له هيئة رابعة، فهذه معانٍ نَفَسية لغوية، القصد منها إحداث أثر نفسي لدى المخاطب، فضلاً عن المعنى الذي تؤديه الجملة من حيث وجهها اللغوي التركيبي[٧].

الشرط:

جاء في لسان العرب: " والشرط : إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه، والجمع شروط وشرائط [٨]، وفي الحديث : لا يجوز شرطان في البيع، ومنه الحديث الآخر: فهي عن بيع وشرط [٩]، وهو أن يكون الشرط ملازماً في العقد لا قبله ولا بعده "[١٠]، وفي القاموس المحيط : " في الأمثال : الشرط أملك، عليك، أم لك "[١١].

كذلك يقول الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في تعريفاته: " الشرط في اللغة: عبارة عن العلامة، ومنه أشراط الساعة "[١٢].

وفي تفسير الكشاف: "... والأشراط : العلامات "[١٣].

قال أبو الأسود الدؤلي[١٤] :

فإن كنت قد أزمعتِ بالصومِ بيننا فقد جعلت أشراطاً وليه تبدو

وتأسيساً على ما سبق يتضح أن الشرط قيد ورابط متعاقد طرفاه في البيع وفي حالات العقد الأُخرى. أما الشرط في الاصطلاح، فنعني به: " ما يوضع ليلتزم في بيع أو نحوه" [١٥]، وعند النحاة: ترتيب أمر على أمر آخر بأداة [١٦].

أثر التنغيم في الفهم النحوي:

إنَّ الدارس لأول وهلة يُدرك أن كثيراً من الظواهر اللغوية بات أمرها مرتبطاً بالتنغيم ارتباطاً قوياً، فالقدماء وإنْ لم يربطوا ظاهرة التنغيم بتفسير قضاياها اللغوية وهم إن تاه عنهم تسجيل قواعد لها؛ فإنَّ ذلك لم يمنع من وجود خطرات ذكية لمساحة تعطي إحساساً عميقاً بأن رفض هذه الظاهرة تماماً أمر غير وارد وإن لم يكن لها حاكم في القواعد لشقة ما بين الدرس الصوتي في نظرهم وبين النحو، إذ كانت دراساتهم الصوتية قمة في استعمال المنهج الوصفي، والاعتماد على ما هو واقع بعيداً عن الفرض والتأويل، وكان درسهم النحوي يعتمد في كثير على المنهج المعياري الذي أسس في غالبه على الفرض والتأويل، ولعلَّ ذلك كان سبباً أبعدَ التنغيم عن خدمة النحو، ومن تلك الإشارات لكثير من القضايا النحوية على أساس من التنغيم، يقول سيبويه (ت ١٨٠هـ): " اعلم أنَّ المندوب مدعو ولكنه متفجع عليه فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف لأنَّ الندبة كأنهم يترنمون فيها " [١٧]، وأمّا ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، فقد قال في شرحه للمفصل: " إعلم أن المندوب مدعو ولذلك ذكر مع فصول النداء لكنه على سبيل التفجع فأنت تدعوه وإن كنت تعلم أنّه لا يستجيب كما تدعو المستغاث به وإن كان بحيث لا يسمع كأنه تعده حاضراً وأكثر ما يقع في كلام النساء لضعف احتمالهنَّ وقلة صبرهنَّ ولما كان مدعواً بحيث لا يسمع أتوا في أوله . بيا أو وا . لمد الصوت ولما كان يسلك في الندبة والنوح مذهب التطريب زادوا الألف آخراً للترنم " [١٨]، وكانت لابن جني (ت ٣٩٢هـ) إشارة تكاد تكون في قوة القانون الذي كان له أن يراعى وأنْ يسجل، إذ قال: "... فأما إن عريت من الدلالة عليها في اللفظ أو من الحال، فإنَّ حذفها لا يجوز "[١٩].

إنَّ ابن جني يبرهن على تأكيد العنصر التنغيمي أثره في هذا المقام، عَدَّ " أن خلاف من يرى غير ذلك لا يعتبر خلافاً [٢٠].

هذه الإشارات من جانب لغويي العرب القدماء[٢١] تجعلنا نثق في أن للتنغيم دوراً ليس بالهيّن في فهم كثير من الأبواب النحوية ولاسيّما تلك الأبواب التي تدلُّ على التأثر والانفعال وما يتصل بالجمل الإنشائية في الدرس النحوي من الأساليب التي يخضع في كثير من قضاياه للعنصر التنغيمي . أسلوب الشرط .، إذ تتكون جملته من أركان ثلاثة هي: الأداة، وجملة الشرط، ثم جملة الجواب، إذ تلتزم اللغة في هذا الأسلوب ترتيباً صارماً؛ لا يُقبل تقديم أو تأخير في أركانه، ونكاد نحسُّ في هذا الأسلوب أن أداة الشرط موصولة بجملة الشرط من دون سكتة بينهما، وكأن الأسلوب قسمان: الأداة والشرط معاً، ثم الجواب[٢٢]؛ لأننا حين ننطق قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٩]، فإنَّ هذا القول وإن قُسم وظيفياً إلى ثلاثة أركان، فإنّه نطقياً ركنان الأول إن تُخفوا ما في صدوركم أو تبدوه ويتلو هذا الركن سكتة واضحة ليبدأ الجواب بعدها ذا وضوح نغمي يحدد المراد من الكلام؛ لأنّه تمام الفائدة في أسلوب الشرط، فالأسلوب من دونه ناقص محتاج إليه[٢٣]، فجملة إن تُخفوا ما في صدوركم تحتمل سكتة واحدة في النهاية، فالناطق ينطقها دفعة واحدة غير مقسم لها تقسيم أسلوب الشرط؛ ولأنَّ النغمة أساسها للفهم في أسلوب الشرط؛ فإنَّ صور هذا الأسلوب تختلف فيما بينها نغمياً، فالسكتة الموجودة بين الشرط والجواب تختلف عن السكتة التي توجد إذا كان الجواب مقترناً بالفاء ولنا أن نقارن بين جملة الشرط السابقة، وبين قوله تعالى: **﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظالمين من أنصار**. [البقرة: ٢٧٠]، فعلى حين يطلب الإبطاء بالجواب في النص القرآني الأول، فإنَّ الإسراع ميسم الجواب في قوله تعالى: ﴿ **﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾**، إذ الربط بالفاء يحدث إسراعاً عند النطق بالجواب، وإذا كان الوضوح النغمي قرين جملة (يعلمه الله) كلها؛ فإنَّ الوضوح هنا يضيق ليصبح على الفاء ولصيقها الممثل في (فإنَّ الله يعلمُهُ)، وإذا

كان التنغيم في أسلوب الشرط قرين الجواب حين جاء مرتباً ترتيباً طبيعياً . فماذا يكون لو انفك عقد هذا الترتيب بأن توهمنا تقدم الجواب على الشرط، فنقول مثلاً: أنت ظالم إن فعلت، فهذه جملة فعلية؛ لأنه " إذا ما تقدم على أداة الشرط ما هو جواب من حيث المعنى فليس عند البصريين بجواب له لفظاً؛ لأنَّ للشرط صدر الكلام"[٢٤]، ألا تراهم يقولون في معناه: إن فعلت فأنت ظالم[٢٥]؛ ولأنَّ " كل شيء يكون سبباً لشيء أو علة له ينبغي أن تقدم فيه العلة على المعلول"[٢٦]، فمعاذ الله أن يقدم جواب الشرط عليه[٢٧]. وقد ذهب الكوفيون إلى رأي مغاير تماماً لصدارة ما سموه بفعل الشرط محتجين بقولهم: " الأصل في الجزاء أن يكون مقدماً على إنْ"[٢٨].

أمّا القول بقرينة رتبة (جملة الشرط) وهي الصدارة، فلا يؤديه الاستعمال اللغوي، فجملة الشرط تتصدر الجملة الشرطية، وأمّا القرينة المنطقية بتقدم العلة على المعلول، ومن ثَمَّ تقدم (جملة الشرط) على جملة جواب الشرط، في أي موقع كان، واستنكار ابن جني والنية أو الأصل في تقدم جملة جواب الشرط على جملة الشرط، فكله مما لا يؤخذ لمنهج وهدف البحث اللغوي المعاصر، فهو نمط أسمى كما يحدد ذلك الشكل التركيبي الذي ينطوي تحته وقرائن الجملة الاسمية، بل إنَّ بعض النحاة نظروا إلى بعض التراكيب من زاوية المنهج الذي التزموه وهو منهج (العمل والعامل) فنحو: . إذا جاء زيد فأنا أكرمه . فهذه جملة اسمية، إنْ قلنا إنَّ عامل إذا جوابها، أي ما في جوابها من فعل أو شبهه؛ لأنَّ صدر الكلام جملة اسمية، وإذا ما أضيف إليه في رتبة التأخير كما في: يوم تسافر أنا أسافر [٢٩]، وفاتهم أن إذا هنا تؤدي وظيفة أساسية في ارتباط الجمل، أو تعليقها بعضها على بعض، بعيداً عن المؤثرات المتوهمة، وقد تابع برجشتراسر فعلية الجملة الشرطية، إلاّ أنّه استثنى الضمائر المؤكدة من التقديم على الفعل، فيمكن تقديمها نحو: إن أنت فعلته، وتقدم الفاعل، ولكنه تقدم نادرٌ، إذا كان اسماً، مثاله من القرآن الكريم: **﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ﴾** [النساء: ١٧٦]، وقد تابع في ذلك، رأي الكوفيين[٣٠] من حيث جواز تقديم الفاعل على

الفعل [٣١]، وقد نوه برجشتراسر إلى أن اللغات السامية غير العربيـة، تجوز الجملـة الاسميـة في الشروط [٣٢].

وتأسيساً على ما سبق، نستنتج أنَّ قيمة الشرط لا تكمنُ في معناه وحده، وإنما في الطبيعة التأثيرية التنغيمية الواردة فيه، وإلاّ فالوصول إلى المعنى يمكن تحققه من خلال أسلوب آخر غير الشرط، فحين نقول: " إن راعيت الله في أعمالك فالثواب محقق، أجد الجواب هنا يحتمل نغمة تشعر أن لا وجود لها فيما لو قلت: الثواب محقق إن راعيت الله [٣٣]؛ ذلك أنَّ الفارق النغمي بين التصورين تصور تقديم الجواب وتصور تأخيره يجعل التسوية بين الجوابين أمراً غير مقبول، وحجة ذلك حين نقول: إن راعيت الله بادئين بالشرط، فإنَّ النفس تنتظر الجواب الذي يأتي مثلاً حقاً في قولنا: فالثواب محقق، أمّا لو قلنا: الثواب محقق؛ أي بائدين بالجواب، فإنَّ النفس هنا لا تحس بحثاً عن شرط، وإنما عن أسلوب كامل يهمها فيه صاحب الشرط، فالجواب المتقدم يمكن أن يثير لدينا سؤالاً: لمن يتحقق الثواب؟ ويكون الجواب للذي يراعي الله، فهل لو تأخر الجواب يعطي إحساساً بهذا السؤال؟ لا أظن، إذ الأقرب إلى الفهم أن يكون السؤال المثار للشرط . إنْ راعيت الله . هو ماذا يحدث لك حين ذلك ؟[٣٤].

إنَّ مفهوم الصدارة لأداة الشرط، في مباحث النحاة مرتبط بمنهج العمل النحوي، فلا يتقدم على الأدوات عامل، أو كلام يؤثر فيها، قال سيبويه: " هذا باب ما تكون الأسماء التي يجازى بها بمنزلة الذي، وذلك قولك: إنَّ من يأتيني آتيه. وكان من يأتيني آتيه... وإنما أذهبت الجزاء من ها هنا؛ لأنك أعملت كان وإنَّ ولم يسغ لك أن تدع كان وأشباهه معلقة لا تعملها في شيء، فلما أعملتهنَّ ذهب الجزاء ولم يكن من مواضعه "[٣٥]، ولكن تحليل سيبويه هذا، اعترضته شواهد عدّة ذكر قسما منها سيبويه نفسه، وأحدها قول الأعشى:

إنَّ مَـــنْ لامَ فـــي بنـــي حسّـــان ألمـــه وأعصـــه فـــي الخطـــوبِ[٣٦]

والآخر قول أُمية بن أبي الصلت:

ولكـــن مـــن لا يلـــق أمـــراً ينويـــه بعدتـــه ينـــزل بـــهِ وهـــو أعـــزلُ[٣٧]

قال سيبويه: " فزعم الخليل أنّه إنما جاز حيث أضمر الهاء وأراد أنه ولكنه"[٣٨] ، وإرادة الهاء فيها من التعسف، وتحميل النص ما ليس به الشيء الكثير، أما النقطة الثانية التي يرتبط بها مفهوم الصدارة فيكمنُ في أن أداة الشرط تقتضي فعلين، وأنّها عاملة فيهما جميعاً، جازمة لهما جميعاً ولا تعمل أدوات الشرط إلاّ فيما تأخر عنها؛ لأنها عامل ضعيف، فلا يجوز حينئذٍ أن يتقدم جواب الشرط عليها[٣٩]. واحتجَّ الدكتور المخزومي قائلاً: " وهذا كلام متهافت لا يلتفت إليه؛ لأنَّ تصور وجود العامل في اللغة باطل من أساسه "[٤٠]، والنقطة الثالثة تتعلق بارتباط مفهوم الصدارة بدلالة الشرط، فعند أغلب النحاة أن الشرط قائم على علة ومعلول، وليس من العقل أن يتقدم المعلول على العلة، ولهذا استعاذ ابن جني بقوله: " أن يحدث شيء كهذا لأن تتقدم جملة جواب الشرط على الأداة وجملة الشرط "[٤١]، والحقيقة اللغوية التي يمكن أن تقال هنا هي: أنَّ نظام الصدارة أحد أنظمة الجملة الشرطية في العربية، وقاعدة النحاة، ومن تبعهم من المعاصرين، في أن الشرط نظام ذو رتبة هي رتبة التصدر، لم تخضع إلى أي استقصاء، ولم تبنَ على إحصاء في كلام العرب، وإنما قررت لعلل تتعلق بانسجام أفكار المنهج النحوي ووحدتها، ولنتأمل هذا القول في دراسة نحوية معاصرة لندرك مدى تأثير عناصر هذا المنهج فيها، يقول الأستاذ عباس حسن: " لا يجوز أن تكون أداة الشرط معمولة لعامل قبلها إلاّ إذا كانت الأداة الشرطية اسماً والعامل السابق عليها حرف جر أو مضافاً نحو . إلى مَنْ تذهب أذهب . و . عند مَنْ تجلس أجلس .، أو نحوهما مما يقتضيه المعنى ولا يصحُّ أن تقع أداة الشرط الجازمة أو غير الجازمة بعد (هل) الاستفهامية ولكن يصح وقوعها بعد همزة الاستفهام "[٤٢]، وقد عرض الدكتور المخزومي، وهو واحد من المجددين لنظام ترتيب أجزاء التركيب الشرطي فقال: " إنَّ نظام الجملة في الشرط، في العادة، أن تتصدر الأداة ويليها فعل الشرط ثم فعل الجواب"[٤٣].

هذا التصور في التقديم والتأخير للجواب يجعلنا نقف أمام أسلوب الشرط وقفة أُخرى، فهناك أدوات شرط لا يُتصور تقدم جوابها؛ لأنَّ الصدارة أساس حاكم لهذه الأدوات وذلك مثل: (ما، ومَنْ، ومتى، وأينما)، ففي قولنا: مَنْ يذاكر ينجح لا يقال: ينجح مَنْ يذاكر، معتبرين الشرط قائماً؛ لأنَّ التقدم يحيل أداة الشرط حينئذٍ إلى اسم موصول يعرب فاعلاً، ويجعل الجملة فعلية بعد أن كانت اسمية، ويذهب بإحساس الشرط تماماً [٤٤]، وفي قولنا: متى تسافر أسافر؛ لا يقبل الأسلوب أيضاً تقدم الجواب، أو دليله؛ لأنّنا لو قلنا: أسافر متى تسافر لكان المعنى: أسافر حين سفرك، وتكون الوظيفة التي تؤديها (متى) وظيفة ظرفية فحسب وليس الشرط [٤٥].

وتأسيساً على ما سبق، لم يكُ تصور الجواب المحذوف الذي يدلُّ عليه المذكور أمراً وارداً في النماذج السابقة، وهنا نؤكد ما قلناه من وجود فارق تنغيمي بين الجواب المتقدم والجواب المتأخر. فجملة (مَنْ يذاكر يحقق له الله النجاح)، وإن قسمت وظيفياً على ثلاثة أركان؛ فإنها نطقياً ركنان الأول: مَنْ يذاكر، ويتلو هذا الركن سكتةً واضحة ليبدأ الجواب بعدها ذا وضوح نغمي يحدد المراد من الكلام؛ لأنه تمام الفائدة في أسلوب الشرط . فالأسلوب دونه ناقص محتاج إليه، ولعلَّ هذا ما يفرق ويميز هذه الجملة عن نغمة الاستفهام الموجودة بها حين لا يطلب الشرط، فجملة الاستفهام من يذاكر؟ أو من يذاكر معي؟ هذه الجملة تحتمل سكتة واحدة في النهاية، فالناطق ينطقها دفعة واحدة غير مقسم لها تقسيم أسلوب الشرط.

إنَّ التنغيم قد يكون أساساً يحكم طول جملة الشرط مع بعض أدواته، ففي اللغة بعض أدوات غير جازمة منها: . لو، ولولا، ولما . والقارئ لمعظم استعمالات الأداة (لو) مدرك أنّه غالباً ما تكون الفسحة النطقية، أو الكلامية بين الأداة وجوابها كبيرة، قال تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** [النساء: ٨٢]﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩].

تابع أغلب النحاة رأي سيبويه في الدلالة التي تفيدها (لو): " أمّا لو فلما كان سيقع لوقوع غيره "[٤٦]، فترددت العبارة الشهيرة " لو حرف امتناع لامتناع، فكأنه امتنع وجود الثاني لعدم وجود الأول "[٤٧]؛ ولكن دلالة الامتناع للامتناع واحدة من عدّة دلالات يخرج إليها سياق (لو) الشرطي، وقد حمل ابن هشام (ت ٦٧١هـ) على إلصاق تلك الدلالة بالأداة، قال: " وهو باطل بمواضع كثيرة "[٤٨].

وقد عمدت أغلب الدراسات إلى الفصل بين لو وهي للتعليق في الماضي، وبين لو وهي بمعنى إنْ وهي للتعليق في المستقبل[٤٩]، وإنما عمدوا إلى ذلك؛ لأنَّ لو التي للتعليق في الماضي تناقض ما قرر لأدوات الشرط من كونها للتعليق في المستقبل، وقد حاول الشلوبين (ت ٧٦١هـ) أن يعطي تفسيراً آخر لقول سيبويه: " لما كان سيقع لوقوع غيره "، فقال: " لو ليست موضوعة للدلالة على الامتناع، بل موضوعها ما نص عليه سيبويه من أنّها تقتضي لزوم جوابها لشرطها فقط " [٥٠] وذهب الدكتور المخزومي من المحدثين، إلى أن لو أداة شرط فيما لا يتوقع حدوثه، وفيما يمتنع تحققه أو فيما هو محال، أو من قبيل المحال [٥١].

وما يحدث للأداة (لو)، حادث للأداة (لما)، قال تعالى:**﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾** [البقرة:١٧].

لم يعدها أغلب النحاة من أدوات الشرط، لما دأبوا عليه من التفريق بين كونها ظرفاً وكونها للماضي، وقد عدَّها سيبويه بمنزلة (لو)، وإنما تقع للأمر الذي قد وقع لوقوع غيره[٥٢].

أما الأداة (لولا) فغالب استعمالها أن يكون جوابها قريباً منها، ولا أدلُّ على ذلك من استغناء المبتدأ الواقع بعدها عن خبره، فإن ورد الجواب أيضاً لا تتحقق فيه الفسحة النطقية التي كانت موجودة مع الأداتين (لو، ولما) [٥٣]، مثل: لولا زيدٌ لأحسنت إليك/ فالإحسان امتنع لوجود زيد [٥٤]، ولولا زيد لأكرمتك [٥٥]، فالجواب لحق جملة الشرط، ولعلَّ هذا التقارب يدعونا إلى القول بأنَّ تركيزاً على الأداتين (لو، ولما) يقل في قيمته عن التركيز النغمي المنوط بأداة (لولا).

وتأسيساً على ما سبق ، نستنتج أن المد النطقي وراء (لو) أمر يكاد يكون مطلوباً؛ لأنه دليل التمني في (لو) وهو مطلوب أيضاً بعد (لما)، إذ يكون أساساً للقصة – الحكاية – التي يحوطها المدى الزمني المفهوم من الأداة الشرطية الزمنية (لما).

إنَّ هذا الحدس السابق في أسلوب الشرط يجعلنا نحسب التنغيم يمكن أن يكون وسيلة من بين وسائل لفهم أسلوب الشرط؛ إذ يمكن أن يحدث فارقاً بين هذا الأسلوب والأساليب الأُخرى ، مثل الاستفهام، والتمني، فضلاً عن تحديده ترتيباً معيناً لأجزاء هذا الأسلوب، فيظهر التنغيم في صورة ارتفاعات، وانخفاضات، أو تنويعات صوتية [٥٦]، في أثناء الكلام، وهذا الارتفاعات والانخفاضات ترجع "... إلى التغيير في نسبة ذبذبة الوتين الصوتيين، هذه الذبذبة التي تحدث نغنة موسيقية " [٥٧].

الخاتِمة:

أسفر البحث في هذا الموضوع عن نتائج عديدة أهمها:

(١) إنَّ قيمة الشرط لا تكمنُ في معناه وحده، وإنما في الطبيعة التأثيرية التنغيمية الواردة فيه، فالنغمة أساسٌ للفهم في أسلوب الشرط؛ فإن صور هذا الأسلوب تختلف فيما بينها نغمياً، فالسكتة الموجودة بين الشرط والجواب تختلف عن السكتة التي توجد إذا كان الجواب مقترناً بالفاء.

(٢) إنَّ مفهوم الصدارة لأداة الشرط، في مباحث النحاة مرتبط بمنهج العمل النحوي، فلا يتقدم على الأدوات عامل أو كلام يؤثر فيها.

(٣) إنَّ نظام الصدارة أحد أنظمة الجملة الشرطية في العربية، وقاعدة النحاة ومن تبعهم من المعاصرين، في أن الشرط نظام ذو رتبة هي رتبة القصد، لم تخضع إلى أي استقصاء، ولم تبنَ على إحصاء في كلام العرب، وإنما قررت لعلل تتعلق بانسجام أفكار المنهج النحوي ووحدتها.

(٤) يُعدُّ التنغيم وسيلة من وسائل فهم أسلوب الشرط، إذ يمكن أن يحدث فارقاً بين هذا الأسلوب والأساليب الأُخرى، مثل الاستفهام والتمني، فهو يحدد ترتيباً معيناً لأجزاء

هذا الأسلوب، فضلاً عن ما توحيه طبيعة الجواب فيه، إذ يظهر التنغيم في سورة ارتفاعات وانخفاضات، أو تنويعات صوتية في أثناء الكلام.

Conclusion:

This research has reached to several conclusions, the most important of which are:

1. The value of the condition does not lie in its meaning alone, but in the impactive tonal nature contained in it, tones are the basis for understanding in the style of the condition; the images of this method differ in tone, as the stroke between the condition and the reflected replies differs from the stroke that exists if the answer is combined with the letter "F".
2. The concept of the forefront of the condition tool, in the investigations and studies of grammarians is linked to the method of grammar, and does not necessarily progress on the tools factor or words affect.
3. The lead system is one of the clause sentence systems in Arabic language and the rule of grammarians and their contemporaries in it. The clause with a rank system is the rank of intent. Grammatical Approach and Unity.
4. Toning is a mean of understanding the method of clause, as it can make a difference between this method and others, such as questioning and wishful thinking, that determines the specific order of the parts of this method, as well as what the nature of the answer suggests, as toning appears in highs and lows , Or voice variations during speech.

قائمة الهوامش:

(١) لسان العرب، ابن منظور(ت ٧١١هـ): ٥٩١/١٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣٥/٦.

(٣) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس: ١٧٦.

(٤) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان: ١٩٨.

(٥) علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران: ١٩٢.

(٦) اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير شريف استيتية: ٤٨٧.

(٧) يُنظر: المصدر نفسه: ٤٨٨.

(٨) لسان العرب، مادة (شرطَ).

(٩) شرح صحيح البخاري، كتاب الشرط، ٢٢٨/٥-٢٢٩.

(١٠) لسان العرب، مادة (شرطَ).

(١١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي(ت ٨١٧هـ)، مادة (شرطَ).

(١٢) التعريفات، الشريف الجرجاني(٨١٦هـ)، ١١١.

(١٣) الكشاف، الزمخشري(ت ٥٣٨٨هـ)، ٢٥٧/٤.

(١٤) ديوان أبي الأسود الدؤلي، ٣٩.

(١٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٤٨١/١.

(١٦) شرح المفضل، ابن يعيش، للزمخشري، ٣/٩.

(١٧) الكتاب، سيبويه(ت ١٨٠هـ): ٣٢١/١.

(١٨) شرح المفصل، ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ): ١٣/٢.

(١٩) الخصائص، ابن جني(ت ٣٩٢هـ): ٣٧٠/٢-٣٧٢.

(٢٠) المصدر نفسه: ٣٧٠/٢-٣٧٢.

(٢١) يُنظر: شرح الأشموني(ت ٩٢٩هـ): ١٣٥/١.

(٢٢) يُنظر: دراسات في علم اللغة، كمال بشر: ٧٥، واللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان: ١٢٥.

(٢٣) يُنظر: من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس: ١٧٥.

(٢٤) يُنظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان: ٢٩٣/١.

(٢٥) شرح كافية ابن الحاجب، الاستراباذي(ت ٦٨٦هـ): ٢٥٧/٢.

(٢٦) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٩٠/٢.

(٢٧) الخصائص: ٢٨٣/١.

(٢٨) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٨٣/١.

(٢٩) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، الأنباري (ت ٥٧٧هـ): ٦٢٣/٢.

(٣٠) يُنظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الصبان (ت ١٢٠٦هـ): ١٣/٤.

(٣١) يُنظر: التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر: ١٣٤.

(٣٢) يُنظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٦١٥/٢-٦١٦.

(٣٣) يُنظر: التطور النحوي للغة العربية: ١٣٤.

(٣٤) يُنظر: البيان في روائع القرآن: ٢٩٤/١.

(٣٥) يُنظر: المصدر نفسه: ٧١/٣-٧٢.

(٣٦) الكتاب: ٧١/٣-٧٢.

(٣٧) يُنظر: المصدر نفسه: ٧٣/٣.

(٣٨) يُنظر: المصدر نفسه: ٧٣/٣.

(٣٩) المصدر نفسه: ٧٣/٣.

(٤٠) يُنظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي: ٢٢١.

(٤١) شرح المفصل، ١٣/٢، ويُنظر: في النحو العربي، نقد وتوجيه: ٢٢١.

(٤٢) الخصائص: ٢٨٤/١، ويُنظر: الأشباه والنظائر، السيوطي (ت ٩١١هـ): ١٦٣/٢.

(٤٣) النحو الوافي، عباس حسن: ٣٩٩/٤.

(٤٤) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٢١.

(٤٥) دراسات في علم اللغة، فاطمة محجوب: ٧٧.

(٤٦) يُنظر: المصدر نفسه: ٧٨.

(٤٧) الكتاب: ٢٢٤/٤.

(٤٨) شرح المفصل: ١٥٦/٨.

(٤٩) مغني اللبيب، ابن هشام (ت ٦٧١هـ): ٢٥٧/١.

(٥٠) يُنظر: شرح الأشموني: ٣٥/٤.

(٥١) التوطئة، الشلوبين (ت ٧٦١ هـ): ٢٦.

(٥٢) يُنظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٢٩١.

(٥٣) يُنظر: الكتاب: ٢٣٤/٤، وشرح قطر الندى وبل الصدى: ٥٥، ومغني اللبيب: ٣٦٩/٢، والنحو الوافي: ٢٩٦/٢.

(٥٤) يُنظر: شرح قطر الندى: ١٧٤.

(٥٥) يُنظر: الجنى الداني: ٥٩٧-٥٩٨، والمقتضب: ٧٦/٣، ٧٧.

(٥٦) يُنظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٦٠/١.

(٥٧) يُنظر: علم الأصوات: ٥٣٣، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ١٩٢.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ٢٠٠٧م.

(٢) البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

(٣) التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٤١٤هـ. ١٩٩٤م.

(٤) تهذيب اللغة، الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: يعقوب بن عبد النبي، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع العرب، القاهرة. مصر، ١٩٦٤م.

(٥) التوطئة، الشلوبين(ت ٧٦١هـ)، دراسة وتحقيق: يوسف أحمد المطوّع، دار التراث العربي للطباعة والنشر، القاهرة. مصر، ١٩٧٣م.

(٦) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الصبان(ت ١٢٠٦هـ)، تحقيق: محمود بن العجيل، مكتبة الصفا، القاهرة. مصر، ٢٠٠٢م.

(٧) الخصائص، ابن جني(ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان، ١٩٩٥م.

(٨) دراسات في علم اللغة، فاطمة محجوب، دار النهضة العربية، والمطبعة العربية الحديثة، القاهرة. مصر، ١٩٧٦م.

(٩) دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار المعارف، مصر، ١٩٧٣م.

(١٠) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني(ت ٩٢٩هـ)، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ. ١٩٧٥م.

(١١) شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، الاستراباذي(ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة. مصر، ٢٠٠٠م.

(١٢) شرح المفصل، ابن يعيش(ت ٦٤٣هـ)، للزمخشري(ت ٥٣٨هـ)، قدّم له: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م.

(١٣) علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، ط٢، مصر، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

(١٤) في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤م.

(١٥) الكتاب، سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مصر، ١٩٦٦م.

(١٦) لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت. لبنان، ١٩٩٧م.

(١٧) اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير شريف استيتية، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي، الأُردن، ٢٠٠٨م.
(١٨) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء . المغرب، ١٩٧٩م.
(١٩) مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، نعمان بوقرة، جامعة عنابة، الجزائر، جامعة الملك سعود، عالم الكتب الحديث، الأُردن، ٢٠٠٨م.
(٢٠) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
(٢١) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٧٠م.
(٢٢) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٩٠م.
(٢٣) النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة . مصر، ١٩٦٤م.

List of Sources and reference:

- The Holy Quran:

1. Linguistic Sounds, Ibrahim Anis, Anglo-Egyptian Library, Egypt, 2007.
2. Statements in the masterpieces of the holy Quran, Tammam Hassan, the world of books, Cairo, 2000.
3. The Syntactic Evolution of the Arabic Language, Bergstrasser, Translation: Ramadan Abdel Tawab, Al-Khanji Library, 2nd copy, Cairo, 1414-1994.
4. Language refinement, Azhari (d. 370 AH), the investigation: Jacob bin Abdul Nabi, reviewed by: Mohammed Ali al-Najjar, the Egyptian House of authoring and translation, Arab Press, Cairo, Egypt, 1964.
5. Prelude, Alshlobin (d. 761), study and investigation: Yousef Ahmed Al-Mutawa, House of Arabic heritage for publications, Cairo, Egypt, 1973.
6. Hashyat Al-Sabban al-Ashmuni, an explanation of the Millennium of Ibn Malik, Sabban (d. 1206 e), investigated by: Mahmoud bin Ajeel, Safa Library, Cairo, Egypt, 2002.
7. The Characteristics, Ibn Jenni (d. 392 e), investigated by: Mohammed Ali Najjar, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, Lebanon, 1995.

8. Studies in Linguistics, Fatima Mahgoub, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, and Modern Arab Press, Cairo, Egypt, 1976.

9. Studies in Linguistics, Kamal Bishr, Dar Al Maaref, Egypt, 1973.

10. Alshmouni explanations on the Millennium of Ibn Malik, Alshmouni (d. 929 e), Al-Babi Halabi Press, Egypt, 1395 e 1975.

11. The explanation of al radhy on Kafyatt in al hakib, Astrabadi (d. 686 e), investigated by: Abdel Al Salem Makram, the world of books, Cairo, Egypt, 2000.

12. Sharih Al Mofasal, Ibn Yaish (d. 643 e), Zamakhshari (d. 538 e), presented by: Emile Jacob, House of Scientific Books, Lebanon, 1422 e - 2001.

13. Linguistics, an introduction to the Arab readers, Mahmoud Al-Sa'aran, Dar Al-Fikr Al-Arabi, 2nd edition, Egypt, 1420 - 1999.

14. In Arabic grammar and criticism, d. Mahdi Makhzoumi, Modern Library, Beirut, 1964.

15. The Book, Sibawayh (d. 180 AH), investigated by: Abdel Salam Mohamed Haroun, Egypt, 1966.

16. Lisan Al-Arab, Ibn Manzoor (d. 711 AH), Dar Sader, Beirut, Lebanon, 1997.

17. Linguistics domains, Function and Approach, d. Samir Sharif Istaitieh, Modern Book Scientist and Wall of the World Book, Jordan, 2008.

18. Arabic language meaning and structure, Tamam Hassan, House of Culture, Casablanca, Morocco, 1979.

19. Introduction to the linguistic analysis of poetic discourse, Nouman Bouguerra, University of Annaba, Algeria, King Saud University, the world of modern books, Jordan, 2008.

20. Moghany Al-labib ala koton al aarib, Ibn Hisham (d. 671 e), investigated by: Mohammed Mohiuddin Abdel Hamid, publications House of the Book of the Arab, Beirut, (dt).

21. Min asrar Al-Logah, Ibrahim Anis, the Anglo-Egyptian Library, i 5, 1970.

22. Research Methods in Language, Tamam Hassan, Anglo-Egyptian Library, Egypt, 1990.

23. Al-Nahw Al-Wafi, Abbas Hassan, Dar Al-Maarif, Cairo, Egypt, 1964.